الملتقى الدولي: السيرة النبوية في الكتابات الأدبية عند المستشرقين .

المنعقد يومي 10-11 مارس 2020.

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية .

عنوان المداخلة: موقف المستشرقين في كتاباتهم من سيرة النبي ρ بين الإنصاف و الإجحاف .

إعداد: **الدكتور** : هشام شوقي .

chougi_19@hotmail.fr

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية .

مقدمة:

حركت سيرة النبي محمد ρ أقلام كثير من الكتاب في القديم والحديث وهذا على اختلاف مشاربهم ومآخذهم، فمنهم من اكتفى بتدوينها وتوقف عند هذا الحد، ومنهم من درسها دراسة تحليلية مقتبسا منها منهجا للحياة السويّة، ومنهم من درسها دراسة نقدية محاولا البحث عن الزلاّت للطعن فيها والنقد لها، وقد كان لهؤلاء جميعا مناهج مختلفة من حيث المصادر وطريقة الكتابة .

ومن أبرز من اشتغل بالسيرة النبوية في العصر الحديث ما يعرف بـ "المستشرقين" حيث اشتغل هؤلاء بسيرة النبي ρ لدوافع متعدّدة غالبها يدور حول البحث عن العيوب والنقائص التي تكون مدخلا للطعن في سيرة النبي ρ ومن ثم الطعن في شخصيته يتلوها الطعن في الإسلام عموما ، ومع ذلك فقد ظهرت أقلام منصفة كتبت حول سيرة النبي ρ بوسطيّة وأسلوب أدبيّ راق، واعترفت بعظم شخصية محمد ρ وأنها من أعظم الشخصيات البشرية، بل وردّت على المستشرقين أنفسهم وبيّنت تحاملهم على هذا النبي العظيم .

وانطلاقا من هذه المقدمة دارت في أذهاننا عدة تساؤلات تدور حول الرغبة في معرفة الصورة التي ينظر من خلالها المستشرقون على اختلاف مدارسهم لسيرة النبي ρ ، ولهذا جاءت فكرة هذه الورقة البحثية التي تحاول الإجابة على التساؤلات الآتية:

– ما هي الصورة التي ينظر بها المستشرقون لشخصية النبي ρ من خلال سيرته؟ ،

– وهل أجمع المستشرقون على الطعن في النبي ρ ؟ . أم أنه كانت هناك عقولا منصفة نظرت بمقياس الموضوعية العلمية لا السوابق الفكرية فأنصفت النبي ρ واعترفت بعظمته؟ .

كل هذه التساؤلات حاولنا الإجابة عليها من خلال هذه الورقة البحثية ، والتي قسمناها إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية في الاستشراق وفيها (تعريف الاستشراق وبيان تاريخ ظهوره وأهدافه ووسائله) .

المبحث الثاني: صورة النبي محمد ρ عند المستشرقين المنصفين (مدحا في وصفه، وردا على بني جلدتهم) .

المبحث الثالث: صورة النبي محمد ρ عند المستشرقين المجحفين والرد على شبههم .

وتفصيل هذه القضية كما يأتي:

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية حول الاستشراق .

وفيه عدة مسائل تتعلق بالاستشراق هي:

أولا: تعريف الاستشراق:

اختلف الباحثون في إيجاد تعريف موحّد للاستشراق، ومع ذلك فقد اتفق الباحثون فيما بينهم على عناصر مشتركة للاستشراق والمستشرقين، ويعود ذلك إلى تصوّر كلّ واحد منهم لحقيقة الاستشراق وأهدافه، وعلى كلّ حال فالاستشراق في صورته العامة: عبارة عن اتجاه فكريّ غربيّ يقوم بدراسة حضارة الأمم من جوانبها الثقافية والفكريّة والدينيّة والاقتصاديّة والسياسيّة كافّة، لغرض التأثير فيها [1] .

وقدّم أحمد عبد الحميد غراب تعريفات كثيرة للاستشراق من الغربيين وغيرهم، وقسّمها إلى قسمين، عام وخاص:

أما التعريف العام: فهو أن الاستشراق أسلوب فكري غربي يقوم على أن هناك اختلافًا جذريًا في الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق، وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني .

وأما التعريف الخاص: فهو عبارة عن دراسات "أكاديمية"، يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه: تاريخه وثقافاته، وأديانه، ولغاته، ونظمه الاجتماعية والسياسية، وثرواته، وإمكاناته ... من منطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق، وبهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتسويغ هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية .

وخلص إلى إيجاد تعريف أكثر شمولية من التعريفات السابقة، آخذًا في الحسبان النقص والتزوير الذي اعترى تلك التعريفات، فقال في تعريف الاستشراق بمفهومه الاصطلاحي: "إن الاستشراق دراسات "أكاديمية" يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وثقافة، وشريعة، وتاريخًا، ونظمًا، وثروات، وإمكانيات.. بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدّعي العلميّة والموضوعيّة، وتزعم التفوّق العنصريّ والثّقافي للغرب المسيحيّ على الشرق الإسلامي" [2] .

وممن عرف الاستشراق وتوسع في تعريفه وقرب مفهومه: الدكتور مازن مطبقاني، في بحث له بعنوان: "الاستشراق"، حيث قال:" " كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفييت) وأمريكيين من دراسات

---

[1] كتاب: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، تأليف: فالح بن محمد بن فالح الصغير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (ص: 6) .

[2] ينظر كتاب "رؤية إسلامية للاستشراق"، تأليف: أحمد عبد الحميد غراب، ص7-9. نقلا عن كتاب: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، لفالح بن محمد بن فالح الصغير (ص: 6-7) .

أكاديمية (جامعية) تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، كما يلحق بالاستشراق كلّ ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية، أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم، كما أن من الاستشراق ما يخفى علينا ممّا يقرّره الباحثون والسياسيّون الغربيون في ندواتهم ومؤتمراتهم العلنيّة أو السريّة، ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم، ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ولا بد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنَّوا كثيرًا من أفكار المستشرقين حتى إن بعض هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته في الأساليب والمناهج الاستشراقية، ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة أو ما يترجمونه من كتابات بعض العرب والمسلمين إلى اللغات الأوروبية" [1] .

ثانيا: تاريخ الاستشراق:

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معنية أو فترة معينة لنشأة الاستشراق فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام. ولعلّ اهتمام النصارى بهذا الدين يعود إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة وقد كان ملكها النجاشي نصرانياً وما دار من حديث حول هذا الدين بين البطارقة في مجلسه، وكيف أدرك هذا الملك حقيقة هذا الدين فاعتنقه، وكانت الفرصة الثانية لتعرف النصارى على هذا الدين حينما بعث الرسول ρ رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية وكان هرقل عظيم الروم أحد هؤلاء الملوك وكان أبو سفيان في تجارة له إلى الشام فاستدعاه هرقل وسأله عن الإسلام وأظهر هرقل اقتناعه بصدق هذا الدين وحقيقته .

و هناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق . ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين . ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين، وبخاصة أنه بعد هزيمة لويس التاسع وأسره في المنصورة وما تمخض عنه تفكيره من صعوبة هزيمة المسلمين عسكريّا فلا بد من التخطيط الفكري بجانب التخطيط الحربي والسياسي ممّا تمخّض عنه بداية الدراسات الاستشراقية [2] .

---

[1] بحث بعنوان: "الاستشراق". تأليف: د. مازن مطبقاني على موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق. // :http medina center.org، (ص: 6) .

[2] ، مقال بعنوان: أهداف الاستشراق ، أ. د. محمد جبر الألفي، بتاريخ:: 2014/12/15 . الاستشراق والتبشير (ص: 8-) . وبحث "الاستشراق"، لمازن مطبقاني (ص: 10)

وهناك من قال إن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلميَّة والأدبية، حتى جاء القرن الثامن عشر وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته فإذا بعدد من علماء الغرب ينبُغون في الاستشراق، ويُصدرِون لذلك المجلاَّت في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم . وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873، وتوالت عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام [1] .

ثالثا: أهداف الاستشراق:

1-الهدف الديني : وهو معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، لأن رجال الدين النصارى رأوا قوّة الإسلام واندفاع كثير من النصارى للدخول فيه واستيلاء الإسلام على أراض كانت النصرانية هي الدين الوحيد فيها، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية للتنفير النصارى من الإسلام. ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكّرة كانت من النوع المتعصّب والحاقد جدّاً حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً عنيفاً لاستشراق العصور (الأوروبية) الوسطى من أمثال نورمان دانيال Norman Daniel في كتابه الإسلام والغرب. فقد كتب دانيال أن أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم للإسلام مازال بعضه يؤثر في موقف الأوروبيين من الإسلام بالرغم من التحسن العظيم الحديث في الفهم والذي أشاد به بعض المسلمين . وكتاب ريتشارد سوذرن "صورة الإسلام في العصور الوسطى" .

2- الهدف العلمي: رأى زعماء أوروبا " أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم الذي تدرس لغاته وآدابه وحضارته، وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية نعرف حقيقة أهمية هذا الهدف من أهداف الاستشراق فالغربيون لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها، وقد أشار رودي بارت Rudi Paret -في كتابه عن الدراسات العربية

---

[1] كتاب "الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم"، تأليف: مصطفى بن حسني السباعي ، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي. (ص: 19) .

وينظر للاستزادة: كتاب "الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته"، لعبد المنعم محمد حسني .

وكتاب "الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، تأليف: عبد المنعم محمد حسنين،(ص: 80-82) .

وكتاب: "الاستشراق وموقفه من السنة النبوية"، لفالح بن محمد بن فالح الصغير، (ص: 10-12) .

الإسلامية –إلى إمكانية أن تقوم الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق عليه علم الاستغراب، فإن المسلمين في نهضتهم الحاضرة بحاجة إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي .

3– الهدف الاقتصادي التجاري: وذلك عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية وكانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعها ، كما أنهم أصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعهم فكان لا بد لهم أن يتعرفوا إلى البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم . فكان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية هي هذه البلاد، فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها. وهناك من يرى أن الهدف الاقتصادي كان هو الأساس في الاستشراق، واستغلت النصرانية لتحقيقه .

4– الهدف السياسي الاستعماري: التقت مصلحة المبشِّرين مع أهداف الاستعمار، فمكَّن لهم واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق، وأقنع المبشرون زعماءَ الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدةَ الاستعمار الغربي في الشرق؛ وبذلك سهَّل الاستعمار للمبشرين مهمتَهم، وبسط عليهم حمايتَه، وزوَّدهم بالمال والسلطان .

ومما يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بالأهداف السياسية الاحتلالية (رغم انحسار الاحتلال العسكري) أن الحكومة الأمريكية موّلت عدداً من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية ، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو جزئياً وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية وسياستها [1] .

رابعا: وسائل المستشرقين:

عدد الدكتور مصطفى السباعي وسائل المستشرقين فجعلها سبعة وهي:

1– تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفيها كثير من التحريف المعتمد في نقل النصوص أو إبتارها، وفي فهم الوقائع التاريخية، والاستنتاج منها .

2– إصدار المجلاَّت الخاصَّة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه .

3– إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم، ودُور الضيافة كجمعيات الشُبَّان المسيحية وأشباهها .

4 إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ومن المؤسف أنَّ أشدَّهُم خطراً وعداءً للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي وغيرها ليتحَدَّثُوا عن الإسلام.. !

5 – مقالات في الصحف المحليَّة عندهم، وقد استطاعوا شراء عدد من الصحف المحليَّة في بلادنا، وقد جاء في كتاب " التبشير والاستعمار " للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي وهو من أهم الوثائق التاريخية عن نشاط المسْتَشْرِقِينَ

[1] ينظر: بحث: الاستشراق، لمازن مطبقاني (ص: 10)، ومقال بعنوان: أهداف الاستشراق ، أ. د. محمد جبر الألفي .

والمبَشِّرِينَ لخدمة الاستعمار ما يلي: «يعلن المبشِّرون أنهم استغلُّوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مِمَّا استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجرة في أحوال نادرة».

6 – عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة، ولبحوث عامة في الظاهر، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام 1783 حتى الآن.

7 – إنشاء موسوعة " دائرة المعارف الإسلامية "، وقد أصدروها بعدة لغات، وفي هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المسْتَشْرِقِينَ وأشدهم عِدَاءً للإسلام، قد دَسَّ السُمَّ في الدسم، وملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به. ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقَّفين في البلاد الإسلامية بحيث يعتبرونها حُجَّةً فيما تتكلم به، وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية وعقدة النقص عند هؤلاء المثقَّفين [1] .

المبحث الثاني: صورة النبي محمد ρ عند المستشرقين المنصفين:

وهم صنف من المستشرقين نظروا في سيرة النبي ρ ودرسوها بعقل وإنصاف بحثا عن الحقيقة التاريخية، حيث قرؤوا سيرته من المصادر الأصلية و لم ينخدعوا بما كتبه الحاقدون عليه من النصارى والملحدين وغيرهم، فتوصلوا بعد البحث إلى أن النبي ρ كان أعظم رجل في التاريخ وأنه مثال للإنسان المعتدل، فبعضهم أسلم وبعضهم لم يسلم ولكنهم أنصفوا فراحوا يثنون على النبي ρ ويبينون فضائله، وفي المقابل شرعوا يردون على من طعن فيه بغير حق من بني جلدتهم .

وفيما يلي بيان لبعض من هؤلاء المنصفين، الذين بعدما نظرت في كتاباتهم وجدتها جاءت على طريقتين:

الأولى: بالثناء على النبي ρ وبيان فضائله .

والثانية: بالرد على الطاعنين فيه وبيان إجحافهم فيه .

وقد اخترت أربعة من هؤلاء المستشرقين الذين سلكوا هذا المنهج، موزعين على أربعة مدارس استشراقية مختلفة (إيطالية، اسكتلندية، بريطانية، فرنسية) وهذا ليتبين أن أصحاب المدارس الاستشراقية لم يكن موقفهم واحد من النبي ρ بل كان مختلفا، وبيانهم كما يلي:

أولا: لورا فيشيا فاغليري (1893م–1989م):

ترجمة:

لورا فيشيا فاغليري، باحثة إيطالية، ولدت سنة **1893م**، درست التاريخ الإسلامي واللغة العربية وآدابها، عملت أستاذاً للغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي، لها عدد من المصنفات منها كتاب «قواعد العربية» في

[1] كتاب "الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم"، لمصطفى السباعي، (ص: 34) .

جزأين، ومن آثارها التي نقلت للعربية: كتاب «محاسن الإسلام»، وقد نقله من الإيطالية للعربية: طه فوزي. وقد طبع بمصر في مطبعة الجامعة الإسلامية (1353 هـ/ 1934م) . و منها كتاب «دفاع عن الإسلام»، وهو كتاب صدر باللغة الإيطالية ثم ترجم إلى الإنجليزية، وهو من أكثر الكتب الاستشراقية إنصافاً للإسلام ورسوله ρ، وقد ترجمه إلى العربية منير البعلبكي، وطبع في لبنان: دار العلم للملايين (1981 م) [1] .

وتُعتبر المستشرقة الإيطالية (لورا فاغليري) من أوائل المستشرقين المتعاطفين ظهورًا على مسرح الفكر الاستشراقي المعاصر، حيث درست الإسلام بروح متفتحة، وحرّكتها عواطف الإعجاب الشديد بالأصول والأخلاق الإسلامية، كما هالتها الآراء التي امتلأت بها كتب المستشرقين، والتي تعبِّر عن جهل بالغ أو تجاهُل مقصود لقِيَم الإسلام وحقيقة النبوة المحمدية، وتَنطلق من مواقف عاطفية ذاتية حاقدة، لتحاول بعد ذلك أن تصب الآراء التي تشكَّلت عن هذا الحقد في الكتب، وتبعًا لهذا عمَدت (لورا فاغليري) إلى التأليف عن الإسلام في جملته لتوضِّح مواقفه، واختصت في الوقت نفسه بالرّدّ على جميع الاتهامات الاستشراقية الرائجة في سوقه .

ويمكن تقسيم جهود المستشرقة (لورا فاغليري) إلى قسمين: الأول: في إعجابها بشخصية النبي ρ وإظهار محامده، والثاني: في نقدها للكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: بيان الإعجاب بشخصية النبي ρ وإظهار محامدها:

حيث نوّهت (لورا فاغليري) بعظمة النبي ρ ونقاء سيرته وصفائها في كتابها (دفاع عن الإسلام)، قائلة:" كان محمد ρ المتمسك دائما بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان المُوَحِّدَة، لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعا الأناة دائما اعتقادا منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور...، لقد عرف جيّدا أن الله لابد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري، وحاول أقوى أعداء الإسلام وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة، لقد نسوا أن محمدا كان قبل أن يستهلّ رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارته وحياته" .

ثم تضيف قائلة :" «.. إن محمدا طوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقودا أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلا إلى أبعد الحدود، لم يتزوّج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة – رضي الله عنها– التي كانت سنّها أعلى من سنّه بكثير، وأنه ظلّ طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج كرّة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكلّ زواج من زوجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات

[1] مقال بعنوان: لورا فيشيا: تأليف: محمد الصادق الطاهر الأمين، نشر في مجلة الإتحاد، بتاريخ: 13 يوليو 2015 .

بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقة زوجيّة مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء طريق جديد لانتشار الإسلام وباستثناء عائشة- رضي الله عنها- ليس غير، تزوج محمد ρ من نسوة لم يكنّ لا عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلا لا إلها. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضا إلى الزواج من جديد، لأن الأبناء الذين أنجبتهم خديجة- رضى الله عنها- له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائما سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعا، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حقّ التفاوت مع أيّ منهنّ، لقد تصرف متأسّيا بسنة الأنبياء القدامى- عليهم السلام-، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحدا من الناس يعترض على زواجهم المتعدد،، فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كلّ شيء عن حياة محمد العائلية ؟»[1] .

فيلاحظ القارئ لهذا النص أن المستشرقة (لورا فاغليري) ركزت في حديثها على جانبين مدحت بهما النبي ρ وهما: مكانته في قومه، وعدله مع أهل بيته .

ثانيا: نقد الكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها:

وقد انتقدت (لورا فاغليري) الآراء الطاعنة في النبي ρ والرائجة في زمانها، وفسَّرت نجاحات الإسلام بالظروف المادية المحيطة به، وراحت تُثبت النبوة الحقيقية لمحمد ρ ؛ فقالت: "وأزعج هذا التحول السياسي والديني العميق طائفةً من الناس...، ولكن كثيرًا منهم كانوا عُميًا، أو كانوا يُغمضون أعينهم عمدًا ... إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان في ميسورها أن تُقدِّم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة . إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد – آخر الأنبياء الكبار حَمَلَةِ الشرائع – الذي ختَم سلسلتهم إلى الأبد" .

ثم إنها ناقشت قضية اتهام الإسلام بالحسية، ومن المعروف أنها تهمة شائعة لدى جمهور المستشرقين، ولكن اختص بها بشكل واضح المستشرق اليهودي المعاصر (إينياس جولدزيهر) الذي جعلها إحدى أسباب كرهه الشخصي للإسلام، فقالت: "ومن الضروري أن ندحض هنا اتهامًا آخر يوجّهه غير المؤمنين إلى الإسلام، وهو أنه وعد أصحابه بجنة حسية ذات حور عين وأنهار من لبن وعسل...، والواقع أن مثل هذه الاتهامات تَنسى أنه لم يكن في ميسور أبناء الصحراء أن يفهموا وعودًا بمكافآت روحية مُرهفة إلى أبعد الحدود، لقد كان من الضروري إعطاؤهم وصفًا واقعيًّا للجنة، وصفًا يكاد يكون ملموسًا، وفي كلمات يسيرة، وما كان ممكنًا – إلا فيما بعدُ عندما بلغوا مستويات روحية أسمى – أن يخاطب

---

[1] كتاب "دفاع عن الإسلام"، للمستشرقة "لورا فاغليري، ص 24. نقلا عن كتاب: الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسيني معدى ، ص137 -139 .

البدو بلغة التعبد لله في ضعة وحب، بيد أنه لمن البهتان البالغ القول: إن محمدًا وأتباعه فهِموا هذه الأوصاف الواقعية فهمًا حرفيًّا؛ لأنهم منذ البَدء وجدوا فيها معنى أعمق من ذلك الذي يستطيع الوصف إظهاره" [1].

ثانيا: توماس كارليل (1795 م– 1881 م) .

ترجمة :

هو كاتب وناقد ومؤرخ اسكتلندي تحصل على جائزة نوبل[2] . وكان لأعماله تأثير كبير بالعصر الفكتوري، وهو من عائلة كالفينية صارمة أملت أن يصبح واعظاً إلا أنه فقد إيمانه بالمسيحية أثناء دراسته بجامعة إدنبرة ومع ذلك بقيت القيم الكالفينية تلازمه طوال حياته. جعل تآلف المسحة الدينية مع فقدان الإيمان بالمسيحية التقليدية، وتبدو أعماله جذابة لعديد من الفكتوريين المناهضين للتغيرات السياسية والعلمية التي هددت حسبهم نظام الحياة الاجتماعي.

ويمكن تقسيم جهود المستشرق (**توماس كارليل**) إلى قسمين: الأول: في إعجابه بشخصية النبي ρ وإظهار محامدها، والثاني: في نقده للكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: بيان الإعجاب بشخصية النبي ρ وإظهار محامدها :

فقد خصص في كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) فصلا لنبي الإسلام بعنوان «البطل في صورة رسول الإسلام –محمد– » ، عدّ فيه النبي ρ واحدا من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ، فقال:" لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتورد المقلتين، العظيم النفس المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحِجًى وإربة ونهى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا وتلك نفس صافية ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين ... وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيدا، كريما برّا، رؤوفا، تقيا، فاضلا، حرا، رجلا، شديد الجد، مخلصا، وهو مع ذلك سهل الجانب، ليّن العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان– على العموم– تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق؛ لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأقواله» .

و قال في موضع آخر: «كان عادلا، صادق النية، كان ذكى اللب، شهم الفؤاد، لوذعيّا، كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم، ممتلئا نورا، رجلا عظيما بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غنى عن ذلك ... وسع نوره الأنحاء، وعمّ ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى

---

[1] كتاب "دفاع عن الإسلام"، للمستشرقة "لورا فاغليري، نقلا عن مقال بعنوان: من المستشرقين المنصفين والمهتدين، تأليف: ياسر تاج الدين حامد، نشر بشبكة الألوكة، بتاريخ: 2015/10/3 .

[2] من منشورات الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

أصبح لدولة العرب رجل في الهند، ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقبا عديدة، ودهورا مديدة بنور الفضل والنبل، والمروءة، والبأس، والنجدة، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة» [1] .

وبعد أن يتعرض بالتحليل النفسي لعظمة نبي الإسلام ونبوته وتعاليمه السامية، يقول: « وإنني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن القفار رجلا مستقل الرأي، لا يقول إلا عن نفسه، ولا يدّعى ما ليس فيه، ولم يكن متكبّرا، ولكنه لم يكن ذليلا ضارعا، يخاطب بقوله الحرّ المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة، وللحياة الآخرة» [2] .

ثانيا: نقد الكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها:

حيث رد في كتابه «الأبطال» على قومه النصارى وعابهم بسبب حقدهم وعدم إنصافهم لمحمد ρ وذلك في نصوص كثيرة منها قوله: «لقد أصبح من أكبر العار على أيّ فرد متحدّث هذا العصر أن يصغى إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خدّاع مزوّر .

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بلهٌ مجانين، فوا آسفا! ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله، وأحقهم بالرثاء والرحمة .

وبعد، فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ألا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء؛ فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهي دليل على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح في حياة الأبدان . ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا وألأم، وهل رأيتم قط معشر الإخوان، أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا وينشره علنا؟ والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب؛ فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير، والجص، والتراب، وما شاكل ذلك- فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تلّ من الأنفاق، وكثيب من أخلاط المواد. نعم، وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه، فينهدم؛ فكأنه لم يكن» .

---

[1] كتاب الأبطال، توماس كارليل، ص 43، نقلا عن كتاب الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسيني معدى، ص186-188 .

[2] المصدر نفسه، نقلا عن كتاب:الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسيني معدى، ص103 .

إلى أن قال: «وعلى ذلك، فلسنا نعدّ محمدا هذا قط رجلا كاذبا متصنّعا، يتذرّع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر. وما الرسالة التي أدّاها إلا حق صراح، وما كلمته إلا قول صادق. كلا، ما محمد بالكاذب، ولا الملفّق، وهذه حقيقة تدفع كل باطل، وتدحض حجة القوم الكافرين.

ثم لا ننسى شيئا آخر، وهو أنه لم يتلق دروسا على أستاذ أبدا، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب- وعجيب وايم الله أميّة العرب- ولم يقتبس محمد من نور أي إنسان آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذين أشبّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور .

إلى أن قال: «أيزعم الأفّاكون الجهلة أنه مشعوذ ومحتال؟ كلا، ثم كلا، ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تنور فكر يتأجج- ليكون قلب محتال ومشعوذ، لقد كانت حياته فى نظره حقّا، وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة» [1] .

ثالثا: مونتغمرى (مونتجمرى) وات (1909 م- 2006م) .

ترجمة:

وهو مستشرق بريطاني عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة في إدنبرة- اسكتلندا. من أشهر كتبه كتاب" محمد في مكة" (1953م)، وكتاب "محمد في المدينة" (1956م) في جامعة إدنبرة .

ومن أهم كتبه "أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا" ، صدر عام 1970م. يتألف من ستة فصول تتناول تأثير الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا في القرون الوسطى (القروسطية) والمداخل الجغرافية لهذا التأثير كالأندلس، وترجع أهمية الكتاب إلى تقييمه أثر الحضارة العربية الإسلامية في الفصل الأخير من الكتاب، وقد ترجم الكتاب إلى عدد من اللغات، وترجم إلى العربية نقلاً عن الترجمة الروسية وطبعته وزارة الثقافة السورية بدمشق .

ويمكن تقسيم جهود المستشرق (**مونتغمري وات**) إلى قسمين: الأول: في إعجابه بشخصية النبي ρ وإظهار محامدها، والثاني: في نقده للكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: بيان الإعجاب بشخصية النبي ρ وإظهار محامدها :

حيث ألف كتابا سماه "محمد في مكة" أبرز من خلاله عظمة النبي ρ وأظهر إعجابه به، حتى أنه قال فيه " ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد برجل هو أعظم رجال أبناء آدم" .

وقال أيضًا: "إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيّدًا وقائدًا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كلّ ذلك يدلّ على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه" .

---

[1] المصدر نفسه، نقلا عن الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسيني معدى، ص186-188 .

ويقول مبينا صدق النبي ρ «هناك- على العكس- أسباب قوية تؤكد صدق محمد ρ ونستطيع في مثل هذه الحالة الخاصة أن نبلغ درجة عالية من اليقين، لأن النقاش حول هذه المسألة، يعتمد على وقائع ولا يمكن أن يتضمن خلافا في التقدير حول الأخلاقية ... ولولا هذا المزيج الرائع من الصفات المختلفة التي نجدها عند محمد ρ لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع" .

كما أن المستشرق (**مونتغمري وات**) بيّن أوجه إعجابه بشخصية النبي ρ وهي ثلاثة حيث قال:" ونستطيع أن نميز ثلاث موهبات مهمة أوتيها محمدρ وكانت كل واحدة منها ضرورية لإتمام عمل محمدρ بأكمله.

1- **لقد أوتي أولا** موهبة خاصة على رؤية المستقبل، فكان للعالم العربي بفضله، أو بفضل الوحي الذي ينزل عليه حسب رأي المسلمين، أساس فكرى (إيديولوجي) حلّت به الصعوبات الاجتماعية، وكان تكوين هذا الأساس الفكري يتطلّب في نفسه الوقت حدسا ينظر في الأسباب الأساسية للاضطراب الاجتماعي في ذلك العصر، والعبقريّة الضروريّة للتعبير عن هذا الحديث في صورة تستطيع إثارة العرب حتى أعمق كيانها .

2- وكان محمد ρ ثانيا رجل دولة حكيما. ولم يكن هدف البناء الأساسي الذي نجده في القرآن، سوى دعم للتدابير الملموسة والمؤسسات الواقعية. ولقد ألححنا خلال هذا الكتاب غالبا على استراتيجية محمد ρ السياسية البعيدة النظر على إصلاحاته الاجتماعية على الظروف المجاورة واستمرارها خلال أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

3- وكان محمد ρ ثالثا رجل إدارة بارعا، فكان ذا بصيرة رائعة في اختيار الرجال الذين يندبهم للمسائل الإدارية. إذ لم يكن للمؤسسات المتينة والسياسة الحكيمة أثر إذا كان التطبيق خاطئا مترددا. وكانت الدولة التي أسسها محمد ρ عند وفاته، مؤسسة مزدهرة تستطيع الصمود في وجه الصدمة التي أحدثها غياب مؤسسها، ثم إذا بها بعد فترة تتلاءم مع الوضع الجديد وتتسع بسرعة خارقة اتساعا رائعا .

ولم يستطع (**مونتغمري وات**) إخفاء ذهوله من عظمة محمد ρ فقال «كلما فكرنا في تاريخ محمد ρ وتاريخ أوائل الإسلام، تملّكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصا للنجاح لم تكن لتتاح لسوى القليل من الرجال غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تماما. فلو لم يكن نبيّا ورجل دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلا، مهما في تاريخ الإنسانية» [1] .

ثانيا: نقد الكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها:

لم يرض (مونتغمرى) بما كتب حول النبي ρ من كذب وافتراء من قبل المستشرقين، ولذلك فإنه ردّ عليهم وبين سبب افتراءاتهم، خاصة بعد تأثره بكتابات المستشرق الذي تحدثنا عنه سابقا وهو (كارليل) فقال:" منذ أن قام كارليل بدراسته

---

[1] محمد في مكة، للمستشرق مونتغمري وات، ص 94. نقلا عن الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسيني معدى، ص162 -163 .

عن محمد ρ في كتابه «الأبطال وعبادة البطل» أدرك الغرب أن هناك أسبابا وجيهة للاقتناع بصدق محمد. إذ أن عزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيرا عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كلّ ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع. فاتهام محمد ρ بأنه دجال MI posteur -يثير من المشاكل أكثر مما يحلّ. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد ρ. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ من الأمور عن محمدρ وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنا قبوله. ولا يكفى، مع ذلك، في ذكر فضائل أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه. وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه. ويجب علينا أن لا ننسى عندئذ أيضا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنا وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه..» [1].

كما ردّ مونتجمري وات في كتاب : «محمد في المدينة» على بعض الشبهات الخاصة المتعلقة بالنبي ρ منها كونه رجلا شهوانيا فقال : «وهناك اتهام أوروبي مسيحي لمحمد بأنه شهواني، أو أنه بلغة القرن السابع عشر الفظة «فحاش مسنّ» غير أن هذه التهمة تسقط إذا فحصناها على ضوء الأفكار السائدة في عصر محمد، كان الفكر الإسلامي في أول ظهور الإسلام يميل إلى تضخيم شخصية النبي ورفعها فوق مستوى البشر، ويوجد حديث يقول (إن محمداً قد أعطي من قوة الرجولة ما يجعله يستطيع أن يقسم ليلته بين جميع نسائه) ولا شك أننا هنا بصدد حديث موضوع؛ لأنّ الحديث العادي يقول بأن محمداً كان يخصص ليلة لكلّ واحدة من نسائه، ونستطيع على كلّ حال أن نحكم من وراء ذلك على موقف بعض أتباع محمد منه. كان المسلمون الأول سيئي الظن بالعزوبية، وكانوا يعارضونها في كل مناسبة حتى الزهاد في الإسلام كانوا عادة متزوجين [2] .

رابعا: لويس سيديو (1808م–1876م) .

ترجمة:

ولد المستشرق الفرنسي «لويس سيديو» عام 1808 ميلادية في باريس، وكان والده «جان جاك إمانويل سيديو»– متوفى سنة 1832م– فلكيا وأحد المستشرقين الذين اهتموا بدراسة التراث الشرقي. وتخرج لويس سيدو في كلية هنري الرابع، وعين مدرسا للتاريخ في كلية «بوربون»، واتجه إلى دراسة التاريخ العربي والإسلامي، وألف كتاب « Histire

[1] المصدر نفسه. نقلا عن الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسيني معدى، ص162 .

[2] المصدر مفسه، نقلا عن مقال "أخلاق الرسول ومناقبه في عيون بعض المستشرقين المنصفين"، العدد 326 .

des Arabes» بالفرنسية، وقد أشرف: علي مبارك باشا على ترجمته إلى العربية، وسماه «خلاصة تاريخ العرب العام»، وتوفي سيدو في باريس سنة 1876م [1] .

ويمكن تقسيم جهود المستشرق «**لويس سيديو**» إلى قسمين: الأول: في إعجابه بشخصية النبي ρ وإظهار محامدها، والثاني: في نقده للكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: بيان الإعجاب بشخصية النبي ρ وإظهار محامدها :

وقد تحدث «لويس سيديو» على جوانب أعجته في شخصية النبي ρ ، فمنها تأثيره على بيئته وفي ذلك يقول «لقد حل الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون. ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد ρ ... بدت في بلاد العرب أيام محمد ρ حركة غير مألوفة من قبل، فقد خضعت لسلطان واحد قبائل العرب الغيرى على استقلالها والفخورة بحياتها الفردية، وانضم بعض هذه القبائل إلى بعض فتألفت أمة واحدة» .

ومنها تواضعه وعدم تكبره، فقال «.. لم يعد محمد ρ نفسه غير خاتم للأنبياء الله- عليهم السلام- وهو قد أعلن أن عيسى ابن مريم كان ذا موهبة في الإتيان بالمعجزات، مع أن محمدا ρ لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجا على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة!» .

ومنها أخلاقه، وفي ذلك يقول «.. إن محمدا ρ أثبت خلود الروح.. وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق. ومن مفاخر محمد ρ أن أظهره قويا أكثر مما أظهره أيّ مشرّع آخر ... ما أكثر ما عرض محمد ρ حياته للخطر انتصارا لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم ينفك عن القتال في واقعة أحد حتى بعد أن جرح جبينه وخده وسقطت ثنيتاه.. وهو قد أوجب النصر بصوته ومثاله في معركة حنين، ومن الحق أن عرف العالم كيف يحيي قوة إرادته ومتانة خلقه ... وبساطته، ومن يجهل أنه لم يعدل، إلى آخر عمره، عما يفرضه فقر البادية على سكانها من طراز حياة وشظف عيش؟ وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض ... وكان ρ حليما معتدلا، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع ما يودّون سؤاله، فيسحر كلماءه بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضج من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلا فلا ينمّ ما يقول على كبرياء أو استعلاء، وكان يوحى في كل مرة باحترام القول له.. ودلّ ρ على أنه سياسى محنّك..» [2] .

ثانيا: نقد الكتابات الاستشراقية المجحفة وبيان جهل أصحابها:

---

[1] مقال بعنوان: لويس سيديو: نبي الإسلام «سياسي محنك تأليف: أحمد مراد، نشر في مجلة الإتحاد، بتاريخ: 13 يوليو 2015 .

[2] تاريخ العرب العام، للمستشرق لويس سيديو ص 15. نقلا عن الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسيني معدى، ص143 .

ردّ المستشرق الفرنسي سيديو الذي أعطى الحضارة الإسلامية حقها على الذين تحاملوا على النبي ρ وعلى دين الإسلام، فقال: «من التجني على حقائق التاريخ ما كان من عزوِ بعض الكتاب إلى محمد القسوة والجبن. فقد نسي هؤلاء أن محمداً لم يألُ جهداً في إلغاء عادة الثأر الموروثة الكريهة التي كانت ذات حظوة لدى العرب، كحظوة المبارزات بأوروبا فيما مضى. وكأن أولئك الكتاب لم يقرأوا آيات القرآن التي قضى محمد فيها على عادة الوأد الفظيعة. وكأنهم لم يفكروا في العفو الكريم الذي أنعم به على ألدّ أعدائه بعد فتح مكة، ولا في الرحمة التي حبا بها كثيراً من القبائل عند ممارسة قواعد الحرب الشاقة، ولا إلى ما أبداه من أسف على بعض الأمم الشديدة، وكأنهم لم يبصروا أن الأمة أم القبائل العربية كانت تعد الانتقام أمراً واجباً، وأنها ترى من حق كل مخلص أن يقتل من غير عقاب من يكون خطراً عليها ذات يوم. وكأنهم لم يعلموا أن محمداً لم يسئ استعمال ما اتفق له من السلطان العظيم قضاء لشهوة القسوة الدنيئة، وأنه لم يألُ جهداً – في الغالب – في تقويم من يجور من أصحابه، والكلّ يعلم أنه رفض –بعد غزوة بدر– رأي عمر بن الخطاب في قتل الأسرى، وأنه عندما حلّ وقت مجازاة بني قريظة ترك الحكم في مصيرهم لحليفهم القديم سعد بن معاذ، وأنه صفح عن قاتل عمه حمزة، وأنه لم يرفض –قط– ما طلب إليه من اللطف والسماح [1] .

المبحث الثالث: صورة النبي محمد ρ عند المستشرقين المجحفين والرد على شبههم:

فإذا جئنا إلى جانب الإجحاف، وجدناه للأسف الشديد جانبا طاغيا وظاهرا في جمهور كتابات المستشرقين لأسباب عدة ستظهر لنا من خلال عرض بعض الجوانب من الكتابات الاستشراقية حول السيرة النبوية.

وبادئ ذي بدئ ينبغي لنا أن نستحضر حقيقة مهمة ذلك أن المكائد حول السيرة النبوية في حقيقة الأمر بدأت منذ بداية الوحي إلى النبي ρ فمنذ أن تلبس النبي ρ؛ بنبوته وسيل الافتراء والبهتان يسارع إليه من كلّ حدب وصوب، وكلما استجد له عدوّ في أثناء سيرته المطهرة استجد معه العدوان والمكيدة، فبينما هو في مكة في دعوة قومه الذين أعرض أكثرهم عن دعوته ثم تألبوا على صد الناس عنه باتهامه الاتهامات التي رصدها القرآن الكريم من رميه بالكهانة والسحر والتلقي عن غيره، إذ استجد له عدوان اثنان في هجرته إلى المدينة: المنافقون وأهل الكتاب ليتنافسوا ويتعاونوا في صناعة المكائد والفِرى عن شخص النبي ρ ودعوته، وما دعوة الكافرين إلا في ضلال وخيبة وخسران .

ثم ورث هذه المهام أقوامٌ من بعد ومشكاتهم واحدة وغايتهم كذلك لا همّ لهم إلا الإزراء على النبي ρ ودعوته، هذا وما فتئ المشككون والطاعنون على سيرة خير الورى بأبي هو وأمي يسلكون مسالك متنوعة في الإزاء عليه؛ تارة من خلال حياته الخاصة وتارة من حروبه وتارة من أصحابه وأخرى من سنته وتشريعه، والطعن على المشتغلين بسنته على وجه الخصوص إلى هلم سحبا من المسالك والسبل التي طرقها الأفاكون، وكان من جملة أولئكم عصبة المستشرقين .

---

[1] من مقال بعنوان "أخلاق الرسول ومناقبه في عيون بعض المستشرقين المنصفين"، العدد 326 .

ومن أوسع المسالك التي ولج منها أهل الاستشراق مسلك السيرة النبوية، إذ كانت لهم منبعا ثريا لإلقاء الشبهات حول شخصه ρ ثم حول دينه ودعوته التي أرسله بها رب العالمين، مع أنه لم يكن بدعا من الرسل كما جاء في القرآن.

أولا: نماذج من إجحاف المستشرقين في سيرة النبي ρ :

كما سبق التنبيه إلى أن السيرة النبوية كانت مدخلا عظيما دخل منه المستشرقون للإزراء على نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فلم يتركوا مرحلة من مراحلها إلا وألقوا فيها من الشبهات ما وسعه جهدهم وهذا عرض لأهم القضايا التي أثيرت حولها الشبهات في سيرة النبي ρ:

1- ادعاء الغموض في طفولته ρ:

لوحظ في كتابات المستشرقين تركيز كبير على مرحلة ما قبل نبوة النبي ρ، وذلك لأجل أن يكملوا مهمتهم مبكرا في التشكيك في نبوته والقرآن الذي جاء به والدين الذي دعى إليه الناس كافة ولكن لم يكن الأمر إلا كما قال عماد الدين خليل «إنّ بحث المستشرقين- بصفة عامة- في السيرة لا يحمل عناصر اكتماله منذ البداية» [1] .

حيث يتحدث بروكلمان في كتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية " عن بعثة النبي ρ، ويبدأ حديثه بالقول:«وأغلب الظن أن محمدا قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدّا، وهو أمر لم يكن مستغربا عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرّت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي» [2] .

فانظر كيف أورد النص مستندا فيه إلى الظن، والظن أكذب الحديث؛ وصدق الله إذْ يقول في أمثال هؤلاء: "**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**" (**النجم:28**)، وكذب المستشرقون، ثم يدعون بعد ذلك أو يُدعى لهم أنهم أصحاب التحري والدقة في البحث!

ثم يستبين المستشرقون منفذا آخر يتسلّلون منه لواذا وهو ما وقفوا عليه من رحلاته عليه الصلاة والسلام ليجعلوها محطة صالحة يمكن أن تروج من خلالها الفِرى، وأن محمدا قد تلقى علوم اليهود والنصارى في رحلاته هذه ليصوغ بعد ذلك هذه العلوم بشاعريته التي كان يجيش بها صدره لتعينه على تأليف القرآن وينسبه إلى ربه ليفتري عليه وعلى الناس! فهذا بروكلمان يقول: «وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد»

أيُّ روايات هذه وما تصنع "لعل" هنا وما موقعها من الإعراب ونحن مع شيخ المحققين وكهف المدققين، وما صنع هؤلاء المستشرقون من أمثال بروكلمان وما أكثر عددهم هذا الصنيع المضحك إلا للبحث عن مصدر هذا القرآن فإنه لا

---

[1] - المستشرقون والسيرة النبوية، المؤلف: عماد الدين خليل، ص10 .

[2] - تاريخ الشعوب الإسلامية، بوكلمان، ص: 34 .

مناص عندهم من البحث على مصدره، " فلا بد له من معلم يكون قد وقفه على هذه المعاني لا بطريق الكتابة والتدوين بل بطريق الإملاء والتلقين، هذا هو حكم المنطق"![1] .

يقول محمد دراز بعد أن بين أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن له معلم من قومه: «وأما أنه لم يكن له معلم من غيرهم فحسب الباحث فيه أن نحيله على التاريخ وندعه يقلب صفحات القديم منه والحديث، والإسلامي منه والعالمي، ثم نسأله: هل قرأ فيه سطرًا واحدًا؟ يقول: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لقي قبل إعلان نبوته فلانًا من العلماء فجلس إليه يستمع من حديثه عن علوم الدين، ومن قصصه عن الأولين والآخرين.

ليس علينا أن نقيم برهانًا أكبر من هذا التحدي لإثبات أن ذلك لم يكن، وإنما على الذين يزعمون غير ذلك أن يثبتوا أن ذلك قد كان، فإن كان عندهم علم فليخرجوه لنا إن كانوا صادقين» [2] .

وها هنا ملحظٌ آخر مهمّ وهي قضية أن هذا الرسول الكريم جاء في قرآنه الذي تلاه على الناس أنه ليس من صنعته هو فيقول مرة: "**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**" (**الأعراف: 203**) ، وتارة يقول: "**قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ** " (**يونس: 15**)، فيقال في ذلك: «أية مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره، وينسلخ منها انسلاخًا؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدًا يعارضه ويزعمها لنفسه» .

وأخيرا يمكننا القول بأنه:« لم تكن طفولة النبي ρ غامضة كما يزعم بعض المستشرقين من أمثال المستشرق "كارل بروكلمان" والمستشرق "يوليوس فلهازون" والمستشرق "موير" والمستشرق "نيكلسون" والمستشرق "مرجليوث" والمستشرق "كانون سيل" وغيرهم كثير»[3]، بل كانت ظاهرة بينة تواترت الكتب الإسلامية والعالمية على روايتها الرواية الصحيحة .

2- أمية الرسول ρ:

يدعي المستشرقون أن النبي ρ لم يكن أميّا ويرمون من وراء ذلك إلى غرضين اثنين: أما الأول؛ فهو: تقوية دعواهم أن القرآن إنما هو من تأليف محمد .

وأما الثاني؛ فهو: الطعن في الآيات التي تثبت أميته .

---

[1]- النبأ العظيم، عبد الله دراز، (ص: 85) .

[2]- المصدر نفسه، (ص: 86) .

[3]- مقال: أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله، لإبراهيم النملة، ص 8، مجلة الجامعة الإسلامية العدد 147 .

يقول جورج بوش الجدّ في كتابه "حياة محمد" : «الحقيقة أن أتباع محمد رغبة منهم في المبالغة في مواهب نبيهم عزوها إلى قوى خارقة رغبة منهم في إضفاء مزيد من الإعجاز على القرآن الكريم، فإنهم يؤكدون عموما أن محمدا كان يجهل القراءة والكتابة تماما، حقيقة هذا الادعاء أكده محمد نفسه» [1] .

وقد تولى رد هذه الفرية السيد حامد السيد علي في كتابه بأمور منها:

أن مراجعة ما بين أيدينا من الكتب البالغة في الكثرة شيئا لا يقع على إحصاء من كتب السيرة النبوية لا نجد فيها خبرا أو رواية تقول أنه ρ ولو مرة واحدة قرأ من صحيفة أو كتب كتابا لأحد، ثم من هذا الذي علمه وما اسمه إن الله لم يرد أن يكون لأحد من الناس فضل على نبيه في أن يجلس إليه لكي يعلمه القراءة والكتابة، فإنه ρ هو من تولى ذلك **{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} [النساء: 113]**، ثم إن حفظ القرآن الكريم لا يحتاج إلى قراءة وكتابه فقد مكن الله حفظه للأطفال والأكفّاء [2] .

« فهم يكررون دائما أن القرآن من تأليف محمد كأنها مسألة أصبحت مسلّمة لدى الباحثين، بل يكرّرون دائما أن القرآن مجموع من مصادر مسيحية ويهودية. وعربيّة جاهليّة، وبالجملة فهم يجمعون على إنكار مسألة الوحي، وفي أحسن عباراتهم وأكثرها لطفاً وخبثاً يصورون رسول الله ρ بصورة العبقري المصلح الذي استطاع بعبقريته وذكائه تأليف هذا القرآن وتربية أولئك العرب الصحراويين. ولكن مع ذلك تزل من أفواه كثير منهم عبارات يتجلّى فيها حقدهم على الرسالة المحمدية أو جهلهم بحقيقتها» [3] .

« ويكفي أنه ليس بمقدور أحد على الإطلاق أن يعثر على رواية تاريخية أو شاهد واحد ينفي (أمّيّة) الرسول ρ، ويكفي كذلك أن هذه المقولة لا تعدو أن تكون نتاجا طبيعيا لمنهج افتراضي يحمل استعداده لطرح أي تصوّر قد يدور في ذهن هذا المؤرخ أو ذاك دون أن يكون له سند من التاريخ...» [4] .

فأمية النبي ρ قضية من الظهور بالمكان الذي لا يخفى إلا على من عميت بصيرته أو كابر الحس والعقل والواقع .

3- حادثة الإسراء والمعراج :

أما حادثة الإسراء فقد ذهبت بها الأهواء مذاهب في الطوائف قبل المستشرقين، والثائرة على الحادثة كانت قد بدأت من صبيحتها إذ تولى كبرها مشركو قريش، ليكون المستشرقون ذيلا في ملحمة إنكارها والتذرع بها لردّ ما جاء به النبي

---

[1]- بواسطة: الرد على كتاب جورج بوش حياة محمد، السيد حامد السيد علي، مطابع الولاء الحديثة [ص: 108] .

[2]- المصدر نفسه، ص: (107-111) .

[3]- المستشرقون في الميزان، أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاَّ محمد عظيم، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السابعة العدد الأول رجب 1394 هـ أغسطس 1974 م.(ص: 152) .

[4] المستشرقون والسيرة النبوية ، (ص: 77) .

الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وإلصاق الخرافة والأساطير بنبوته عليه السلام كما قال تعالى "**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**" (**الأنفال: 31**) .

فها هو الجد جورج بوش يقول عن الحادثة: « أن النبي ابتدعها كي يحقق لنفسه شهرة» [1] .

يقول لمونتيروفايدال "Montero Vidal في كتابه محمد.. حياته والقرآن «كاد حدث الإسراء والمعراج يقضي على دعوة الرسول، فكان أبو بكر هو المنقِذَ للرسول من صخب قريش واستهوائها"...ثم يزيد قائلا" بفضل أبي بكر – كما قلنا – وتعقُّل الرسول عندما حذف هذه القصة – يعني: قصة الإسراء والمعراج – من القرآن الكريم، وقد عدَّها رؤيا رآها، بفضل كل هذا استطاع تفاديَ الخطر» [2] .

وأما بروكلمان فيقول: «ومن الجائز أن تكون هذه الرحلة السماوية التي كثيرا ما أشير إليها بعد في الأساطير الشعرية التي خلفتها لنا الكتب الإسلامية جميعها أقدم عهدا من ذلك، ولعلها ترجع إلى الأيام الأولى للبعثة» [3] .

وتعبير بروكلمان " الأساطير الشعرية " يفهم منه أنه غير مصدق بحادثة الإسراء التي ذكرت في سورة " الإسراء "، والمعراج الذي ذكر في سورة "النجم "، وثبتت بالأحاديث الصحيحة المتواترة .

ثانيا: دواعي الشبهات لدى المستشرقين الحاملة على الإجحاف:

بعد هذه الإطلالة السريعة على مواقف المستشرقين التي نتج عنها مواقف جانبت الإنصاف إلى الإجحاف في حق النبي محمد ρ، يمكننا رصد أهم الدواعي التي حملت هؤلاء المستشرقين محامل سيئة وأوصلتهم إلى نتائج باينت الحقيقة

حيث يرجع عماد الدين خليل كتابات المستشرقين إلى دافعين لا ثالث لهما، إذ يقول: «إنّ المستشرقين– بعامة– يريدون أن يدرسوا سيرة الرسول ρ وفق حالتين تجعلان من المستحيل تحقيق فهم صحيح لنسيج السيرة ونتائجها وأهدافها التي تحرّكت صوبها والغاية الأساسية التي تمحورت حولها ... فالمستشرق بين أن يكون:

– علمانيا، ماديا، لا يؤمن بالغيب،

– وبين أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية» [4] .

وأما عن الاعتبارات التي كانت دافع المستشرقين للتقوّل عن السيرة النبوية وعن صاحبها فالعلماء يرجعونها إلى اعتبارات متباينة :

فإبراهيم النملة يرجع أسباب وقوع المستشرقين في الإجحاف إلى أربعة أمور:

---

1 – بواسطة السيد حامد السيد علي ص: 119 .

2– بواسطة مقال السيرة النبوية في الكتابات الإسبانية، لسعيد المغناوي، من خلال موسوعة السيرة النبوية في الكتابات الغربية، شركة العبيكان – السعودية، الطبعة الأولى: 1439 هـ– 2018م، [ص: 58] .

3 – تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، (ص:44) .

4– المستشرقون والسيرة النبوية (ص: 11) .

1. نقص المعلومة الصحيحة عن هذا الدين .
2. نقص الانتماء إلى هذا الدين .
3. الافتقار إلى اللغة التي جاء بها هذا الدين .
4. السعي في تشويه المعلومة الصحيحة عن الإسلام .

وأما عماد الدين خليل في كتابه " المستشرقون والسيرة النبوية" فقد وقف للاستشراق على ثغرات منهجية ثلاث على النحو الآتي [1] :

أولها: المبالغة في الشكّ، والافتراض، والنفي الكيفيّ، واعتماد الضعيف الشاذّ:

ويكاد يكون هذا الملمح الأساسيّ في مناهج المستشرقين قاسما مشتركا أعظم بينهم جميعا.. إنهم يمضون مع شكوكهم إلى المدى، ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخيّ، بل إنهم ينفون العديد من الروايات، لهذا السبب أو ذاك؛ بينما نجدهم يتشبّثون- في المقابل- بكل ما هو ضعيف شاذ .

ثانيها: إسقاط الرؤية الوضعية، العلمانيّة، والتأثيرات البيئيّة المعاصرة على الوقائع التاريخيّة:

إنه من المتعذّر بل من المستحيل، كما يؤكّد آتيين دينييه «أن يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة. وأنهم- لذلك- قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي ρ والصحابة مبلغا يخشى على صورتها الحقيقية من شدّة التحريف فيها، وبرغم ما يزعمون من اتّباعهم لأساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمي الجاد؛ فإننا نجد- من خلال كتاباتهم- محمدا يتحدّث بلهجة ألمانيّة إذا كان المؤلف ألمانيا، وبلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطاليا... وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب! وإذا بحثنا في هذه السيرة عن الصورة الصحيحة فإننا لا نكاد نجد لها من أثر .

ثالثها: ردّ معطيات السيرة إلى أصول نصرانية أو يهودية:

إن هذا التصور (المسبق) يكاد يأخذ برقاب المستشرقين، ويضع بصماته العميقة على مناهجهم في التعامل مع وقائع السيرة وظاهرة النبوة .

ويمكن أن نلخص منهج هؤلاء المستشرقين في كتاباتهم المجحفة عن السيرة النبوية[2]، في النقاط الآتية:

1- الانتقائية في اختيار المصادر ونقل الروايات عنها، فلا يعتمدون منها إلا على ما يساير أهدافهم .

2- التحيز السافر الذي ينمّ عن روح العداء والحقد المتأصل على الإسلام .

3- تضخيم بعض الحوادث والمبالغة فيها، والتقليل من حوادث أخرى .

1- المصدر السابق (24- 38) .

2- موسوعة السيرة النبوية في الكتابات الغربية ،السيرة النبوية في الكتابات الإسبانية، تاريخ الاهتمام والبحث والكتابة في السيرة النبوية عند المستشرقين الإسبان، لعبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي، [ص:63] .

4- إطلاق الأحكام الخطرة في حق النبي ρ وأصحابه وفي حق الإسلام وشريعته وتاريخه وحضارته دون أي دليل .

5- الإسراف في استخدام المنهج المادي ومعاييره في بحث حياة النبي ρ والأحداث المتعلقة بها .

6- تأويل الأحداث والوقائع وتحليلها بطريقة غير موضوعية .

7- الاعتماد في جمع المعلومات على مصادر غير علمية، وتجاهل المصادر الصحيحة، والاستدلال بالروايات الواهية الساقطة، وإغفال الروايات الصحيحة الثابتة.

8- المبالغة في الشك، والافتراض، والنفي الكيفي، واعتماد الضعيف الشاذ .

9- إسقاط الرؤية الوضعيّة، العلمانيّة، والتأثيرات البيئيّة المعاصرة على الوقائع التاريخيّة .

10- ردّ معطيات السيرة النبويّة إلى أصول نصرانيّة أو يهوديّة .

11- التستر بالموضوعية من خلال التظاهر بالموضوعية في الكتابة، والتطوع بذكر بعض الجوانب الإيجابية المتعلقة بالإسلام وحضارته، مما قد يعطي انطباعاً لدى القارئ بأن الباحث موضوعي ملتزم بالخضوع لما يفرضه المنهج العلمي الصحيح، لكن النظر الثاقب والقراءة المتفحصة لدراسات هؤلاء، تكشف عن كثير من الأوهام والأباطيل .

12- مجافاة المنهج العلمي، وذلك بإهمال المبادئ الأولية لهذا المنهج، والانطلاق من مزاعم باطلة في دراسة الإسلام، مثل بشرية القرآن، وعدم صدق النبي ρ في نبوته .

13- التمويه والتلبيس في البحث، وذلك بالخلط بين الحق والباطل، وزرع الشكوك بدعوى الالتزام بالمنهج التاريخي الاجتماعي، والاستدلال بالأدلة على غير ما تدل عليه، وتحليل أحداث التاريخ الإسلامي تحليلاً مراوغاً، يخدم الأغراض والأهداف المرسومة للدراسات الاستشراقية .

ويقال أخيرا لهؤلاء :« ألا فليريحوا أنفسهم من عناء البحث، فقد كفتهم قريش مئونته، وليشتغلوا بغير هذه الناحية التي قضى التاريخ والمنطق على كلّ محاولة فيها بالفشل، فإن أبوا فليعلموا أن كلّ شبهة تقام في وجه الحق الواضح سيحيلها الحق حجة لنفسه يضمها إلى حججه وبيناته» [1] .

ثم إن المسلم لا ينتظر من غيره أن يؤمن بهذا النبي وإلا كان مسلما مثله، ولكن ينتظر منهم ألا يسيئوا إلى نبي من أنبياء الله .

خاتمة:

نخلص في آخر هذه المداخلة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1- أساليب المستشرقين في نشر أفكارهم بعضها خفي وبعضها ظاهر، وبعضها قديم وبعضها حديث لذلك ينبغي للباحثين كشفها وبيان زيفها حتى يحذر منها المسلمون .

---

[1]- النبأ العظيم (ص: 96) .

2- المستشرقون كانوا على صنفين فمنهم: المنصفون ومنهم المجحفون، وقد اشتغل كلّ من هؤلاء بالسيرة النبوية وفق منهجه :

فأما المنصفون: فبعضهم أسلم تأثرا بسيرة النبي ρ لِما رأى فيها من الإنصاف والكمال البشري، وبعضهم لم يسلم ولكنه كان موضوعيّا في حديثه عن السيرة النبوية، فأحيانا يمدح النبي ρ ويظهر فضائله، وأحيانا يرد على المستشرقين المجحفين من بني جلدته ويبين أخطاءهم العلمية، ويذكر سببها وهو عدم الموضوعية والسوابق الفكرية .

وأما المجحفون: فإنهم سخّروا أقلامهم للطعن في النبي ρ وفي سيرته دون التزام بالموضوعية ولا استناد إلى حقائق علمية تاريخية، وقد سبق بيان أسباب ذلك .

3 - السيرة النبوية شكلت مصدرا خصيبا للمستشرقين، لما فيها من الروايات العالقة بها مما لم يثبت حقيقة، أو ممّا أسئ فهمه، يقول عماد الدين خليل «إن الدين، والغيب، والروح، لهي عصب السيرة وسداها ولحمتها . وليس بمقدور الحسّ أو العقل أن يدلي بكلمته فيها إلّا بمقدار.. و تبقى المساحات الأكثر عمقا وامتدادا، بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق..إنّنا- ونحن نناقش هذا المستشرق أو ذاك في حقل السيرة النبوية- يجب أن ننتبه إلى هاتين النقطتين مهما كان المستشرق ملتزما بقواعد البحث التاريخيّ وأصوله » [1] .

ولذلك فإننا نتقدم في آخر هذه المداخلة بعدة توصيات منها:

1- العناية بترجمة التراث النقدي للمستشرقين إلى لغات العالم، وإرسالها إلى مراكز البحث الغربية .

3- إبراز ردود المستشرقين أنفسهم على بعضهم بعضا لأنها أقرب لقبولها منهم، وبيان براءة السيرة النبوية مما نسب إليها منهم .

3- الاهتمام بالأعمال البنائيّة المتعلقة بالسيرة، فهي ليست أكثر أهمية من الدفاع عن الحقائق الإسلامية العقدية والتاريخية .

قائمة المصادر والمراجع:

1-القرآن الكريم .

2- مقال "أخلاق الرسول ومناقبه في عيون بعض المستشرقين المنصفين"، العدد 326 - السنة الثامنة والعشرون ربيع الأول 1435هـ – كانون الثاني 2014م، مجلة الوعي .

3- أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله، مجلة الجامعة الإسلامية العدد 147 .

4 - مقال بعنوان: أهداف الاستشراق ، أ. د. محمد جبر الألفي، بتاريخ: 2014/12/15 .

[1] - المستشرقون والسيرة النبوية (ص: 7) المستشرقون والسيرة النبوية، المؤلف: عماد الدين خليل، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1426 هـ

5- تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان / نرجمة نبيه أمين فارس – منير البعلبكي، جار الملايين، بيروت/ الطبعة: الخامسة ، سنة: 1968م.

6- تاريخ الأدب العربي نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة (د ت ط)، – دار المعارف – القاهرة.

7- الرد على كتاب جورج بوش حياة محمد، السيد حامد السيد علي، مطابع الولاء الحديثة ، د ت ط. .

8- الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، فالح بن محمد بن فالح الصغير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

9- بحث بعنوان: "الاستشراق". د. مازن مطبقاني على موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق. http: // medina center.org .

10- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، تأليف: مصطفى بن حسني السباعي ، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي .

11- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل (مدخل علمي لدراسة الاستشراق، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة، مصر – القاهرة، الطبعة: الخامسة: 1434 هـ/ 2013م .

12 – الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، عبد المنعم محمد حسني، مجلة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة – العدد الثاني –، سنة: 1397هـ – 1977 م.

13- كتاب: الرسول ρ في عيون غربية منصفة، تأليف: حسين حسينى معدى ، الناشر: دار الكتاب العربى، دمشق، الطبعة: الأولى، سنة: 1419م .

14- ظاهرة الأسلاموفوبيا الجذور التاريخية والنهايات المنتظرة، تاليف: أ.د. محمد عمارة، دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة: الأولى، سنة: 1439هـ-2018م .

15- مقال بعنوان: لورا فيشيا: تأليف: محمد الصادق الطاهر الأمين، نشر في مجلة الإتحاد، بتاريخ: 13 يوليو 2015 م .

16- مقال بعنوان: لويس سيديو: نبي الإسلام «سياسي محنك تأليف: أحمد مراد، نشر في مجلة الإتحاد، بتاريخ: 13 يوليو 2015 .

17- مقال بعنوان: من المستشرقين المنصفين والمهتدين، تأليف: ياسر تاج الدين حامد، نشر بشبكة الألوكة، بتاريخ: 2015/10/3 م.

18- المستشرقون والسيرة النبوية، المؤلف: عماد الدين خليل، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: 1426 هـ .

19- المستشرقون في الميزان، المؤلف: أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاَّ محمد عظيم، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السابعة العدد الأول رجب 1394 هـ أغسطس 1974 م.

20 - موسوعة السيرة النبوية في الكتابات الغربية، شركة العبيكان – السعودية، الطبعة: الأولى، سنة: 1439هـ- 2018 م .

21- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة سنة: 1426هـ- 2005م.